رئاسة تنفيذية الأممية الشيوعية

انتفاضة كانتون

يا عمال العالم، اتحدوا
طريق البلشفيّة
موقع أممي للإعلام البلشفي باللسان العربي

رئاسة تنفيذية الأممية الشيوعية

انتفاضة كانتون

أطروحات في الذكرى الأولى

12 كانون الأول/ديسمبر 1928

ترجمة

محمد علي العربي

دار النشر البلشفي العربي

القيروان، كانون الأول/ديسمبر 2019

المرجع المعتمد في هذه الترجمة:

Thèses sur le premier anniversaire de l'insurrection de Canton, in
La Correspondance Internationale, no. 150, 8e année, 12 décembre 1928, p.1765-1767.

أطروحات في الذكرى الأولى

لانتفاضة كانتون

12 كانون الأول/ديسمبر 1928

فقرة 1. لقد رفرف علم السوفييتات الأحمر عاليا في كانتون عاصمة جنوب الصين يوم 11 كانون الأول/ديسمبر 1927. فقد انتصبت البروليتاريا البطلة في كانتون تحت قيادة الحزب الشيوعي الصيني، وسلاحها بيدها، ضد هيمنة الرجعية البرجوازية والاقطاعية الدموية في سبيل تركيز سلطة السوفييتات، سلطة العمال والفلاحين وفقراء المدن، لأول مرة في حياة المستعمرات. لقد كانت البروليتاريا، خلال انتفاضة كانتون، قوة ثورية عظيمة وقائدة جميع الطبقات المضطهدة في الصين. لقد بينت بروليتاريا كانتون لمئات الملايين المستغلين في الصين والهند وبلدان الشرق الأخرى، طريق تحررهم الحقيقية والوحيدة والصحيحة. ولقد قدر المؤتمر الشيوعي العالمي السادس انتفاضة كانتون على أنها «نموذج لأكثر البطولات سخاء عند العمال الصينيين». رغم أن انتفاضة كانتون كانت معركة خلفية من جانب البروليتاريا الصينية وفي زمن كانت قد تراجعت فيه الموجة الثورية، قد كانت، في ذات الوقت، بمثابة راية المرحلة الجديدة في الثورة الصينية، المرحلة السوفييتية. فمنذ انتفاضة كانتون، لا يمكن لمعارك العمال والفلاحين الطبقية الكبرى أن تجري إلا تحت راية النضال في سبيل سلطة السوفييتات، في سبيل دكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية الثورية.

فقرة 2. تركيز السوفييتات في كانتون ودخول الثورة الصينية المرحلة السوفييتية هما مكسب للبروليتاريا العالمية، لأن الثورة الصينية هي إحدى النواحي الحاسمة في الثورة العالمية ونضال البروليتاريا الصينية هو جزء مكون لنضال البروليتاريا العالمية ضد الإمبريالية العالمية. فقد كانت انتفاضة كانتون تستهدف النير الإمبريالي في الصين مباشرة. لهذا السبب حارب الإمبرياليون كانتون السوفييتية جهرا منذ أول أيام الانتفاضة، وساعدوا الثورة المضادة الصينية، بجميع الوسائل، على تنظيم قواها حتى تسحق الطليعة الحمراء للثورة الصينية وموطنها. لقد قامت البواخر التجارية الإنجليزية بنقل القوات المسلحة الرجعية، وقامت السفن العسكرية الإنجليزية والأمريكية واليابانية بإنزال لإسناد جيش الجنرالات، وقامت طرادات الإمبرياليين بحماية عمليات الأسطول الصيني، الخ.

لقد لعبت هون كونغ، وهي قاعدة الإمبريالية الإنجليزية في الشرق الأقصى قبالة كانتون، دورا في سحق الانتفاضة. فإلى هون كونغ حيث لجأ كل العناصر المضادة للثورة في كفنتونغ فرارا من غضب العمال والفلاحين المنتفضين. وفي هون كونغ حيث تجمعت القوات القيادية الرجعية الصينية وتنظمت.

بعد سحق الانتفاضة، كان الإمبرياليون الإنجليز في هون كونغ وشامين (القسم الأجنبي من كانتون) يدفعون، دوما، الرجعيين الصينيين إلى الانتقام المسعور من عمال وكادحي كانتون. ووجهوا الحرس الأبيض الصيني إلى قنصلية اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية في كانتون رغم أنها لم تشارك مطلقا في الانتفاضة. ولقد سقط ممثلوا دولة العمال والفلاحين الوحيدة في العالم، والتي كانت أول دولة تعترف باستقلال الصين ومساواتها التامة، — سقطوا، بكل بطولة، برصاص الجزارين الصينيين الذين كانوا ينتقمون على ذلك النحو من التضامن الثوري الذي يوحد بين البروليتاريا العالمية وكادحي الصين.

فقرة 3. لقد كانت انتفاضة كانون الاول/ديسمبر قد هيأها كامل مجرى المرحلة المنقضية من الثورة. ولقد كان الانقلاب في ووهان في صيف 1927، والذي كان قد حدد انتقال البرجوازية الصينية والكيومنتانغ (بما في ذلك من جناحه اليساري المزعوم) إلى معسكر الثورة المضادة، — كان قد أضعف الطاقة الهجومية عند جماهير العمال والفلاحين، لكنه لم يحطم مقاومتهم للتكتل الإمبريالي-الإقطاعي-البرجوازي. فبعد محاولة القسم الثوري من الجيش تركيز قاعدة لتجميع وتنظيم قوات الثورة المتشتتة بفضل السيطرة على إحدى محافظات الجنوب (الحملة على ياشتينغ وهولونغ في كفنتونغ) في أيلول/سبتمبر وتشرين الأول/أكتوبر 1927، اندلعت انتفاضات فلاحية كبرى ضد المالكين العقاريين وسلطة الكيومنتانغ في عدة محافظات في الوسط. ومذ ذاك، بدأت حرب أنصار طويلة في الأرياف لم ينجح الكيومنتانغ بعد في تصفيتها. أما الحركة العمالية في المدن، وقد جمعها جيدا تهديد الكيومنتانغ بإرهابه المسعور، فهي في تعاظم. لقد كان الإرهاب مطلق العنان بالأخص في شنغهاي حيث كانت البروليتاريا دائما في طليعة القوى الثورية وتحملت أكبر ضربات الثورة المضادة. ورغم كل ذلك، تواصل البروليتاريا، في عدة مدن، مقاومة هجوم الرجعية وشن الإضرابات التي غالبا ما تتحول إلى انتفاضات. إن التحركات المتفرقة عند البروليتاريا والقنوط الذي تملك صفوف بروليتاريا شنغهاي، جيشها الرئيسي وواقع أن تلك التحركات البروليتارية لا تتصادف (زمنا ومكانا) مع انتفاضات الفلاحين الكبرى وضعف الحزب الشيوعي، — أدى كل ذلك إلى هزائم جدية.

لقد بلغ الصراع الطبقي أعلى درجات نشاطه في كفنتونغ معقل الحركة الجماهيرية المنظمة في الصين. ومنذ نيسان/أفريل 1927 كان كل من كفنتونغ ومدينة كانتون ساحة إرهاب أبيض مطلق العنان. وكان آلاف العمال والفلاحين والطلبة الثوريين ضحايا أشد أنواع القمع قساوة لا لشيء سوى

أنهم دافعوا عن حرية المنظمات العمالية والفلاحية وطالبوا بتحسين وضع الجماهير الكادحة الذي لا يطاق.

لقد تميز الخريف بانكماش اقتصادي مفاجئ وركود التجارة وتقوية النير الضريبي وارتفاع مصاريف الحياة. كما شددت، في ذات الوقت، أزمة حكومة نانكين (الحرب بين نانكين ووهان) الفوضى السياسية في كنتونغ بسبب الحرب الناشبة بين الجنرالات بخصوص كانتون (طغمة كنتونغ على رأسها الجنرال تشان فا كيو وطغمة كفانغسي وعلى رأسها الجنرال لي تي تسين)، وهي حرب كانت تعكس الصراع داخل الكيومنتانغ بين جناحه البرجوازي وجناحه الإقطاعي-الكمبرادوري.

فقرة 4. نظم عمال كانتون، في ظروف الإرهاب الأبيض القاسية تلك، مظاهرات واجتماعات عظيمة، خلال شهر تشرين الأول/أكتوبر، بقيادة نقابة البحارة الحمراء تحت شعار إعادة تركيز النقابات الحمراء والدفاع عن الحزب الشيوعي. فاستولى المتظاهرون على النقابات "البوليسية" وقتلوا قادة تلك "النقابات"، أعوان الرجعية، في وضح النهار وأمام الجميع.

ونظم عمال كانتون في 7 تشرين الثاني/نوفمبر مظاهرة عظيمة تشريفا لذكرى ثورة أكتوبر وفي ذات اليوم وقع إضراب المطابع السياسي. وتميزت الفترة اللاحقة، والتي وقع خلالها انقلاب الجنرالات في كانتون والحرب بين جنرالات المحافظة، بنهوض الحركة العمالية نهوضا قويا وبالعديد من المظاهرات والاضرابات وبتعاظم نفوذ النقابات الحمراء والحزب الشيوعي. ولقد أثار هذا النهوض أقسى أنواع القمع، لكن هذه المرة، من جانب تشانغ فا كوي، أحد جنرالات "يسار" الكيومنتانغ الذي استحوذ على السلطة في كانتون. وهو الأمر الذي كشف حقيقة رجعية جميع اتجاهات الكيومنتانغ أمام عيون الجماهير البروليتارية.

فقرة 5. لم يسبق لإقليم كنتونغ أن شهد حركة على سعة كالتي شهدها في تشرين الثاني/نوفمبر وكانون الأول/ديسمبر 1927. فقد استولت الرابطات الفلاحية، منذ صيف 1927، على السلطة في قرى جزيرة هاينان في جنوب الإقليم. وشرع الفلاحون في الخريف في هذه المنطقة في تقاسم أراضي الإقطاعيين وتذبيح المالكين العقاريين ووالجنتري. كما انتفض فلاحو محافظات نهر الشمال والمناطق المحاذية لكانتون بسبب امتعاضهم من إرهاب المالكين العقاريين. وفي محافظتي هافينغ ولوفينغ الشهيرتين في تاريخ الحركة الفلاحية الصينية، قام الفلاحون لأول مرة عام 1927 بانتفاضة فلاحية عظيمة أدت إلى تركيز سلطة السوفييتات في خمسة مناطق. وفي الأشهر اللاحقة قام الفلاحون في محافظة هافينغ بالاحتفاظ بالسلطة وتقاسموا الملكيات الكبيرة وذبحوا بعضا من المالكين العقاريين والجنتري وطردوا البعض الآخر. لقد وقعت هذه الانتفاضات الكبرى على حدود المحافظة وعلى مسافة

بعيدة جدا عن كانتون البروليتارية وبالتالي لم يكن بإمكانها أن تقدم العون في الوقت المناسب للمدينة السوفييتية المحاصرة وهذا الأمر كان سببا حاسما في هزيمة كانتون.

حتى الجماهير الغفيرة من البرجوازية الصغيرة الحضرية والفئات الأكثر فقرا من التجار والحرفيين والمثقفين الذين يئنون من وطأة الانكماش الاقتصادي ونير العسكريين السياسي وقد يئسوا من الكيومنتانغ، — كانت كل تلك الجماهير تتعاطف مع الحركة البروليتارية المتعاظمة ومع شعارات الحزب الشيوعي.

لقد كان البعض فقط من أكثر أجزاء الجيش تقدما تحت تأثير الشيوعيين بالكامل. وكانت أجزاء أخرى في حالة غليان ويتعاظم صلبها السخط على النظام القائم. إن الروح الثورية تتعاظم عند الجماهير. والحزب يشن نشاطا حماسيا لتحضير الانتفاضة.

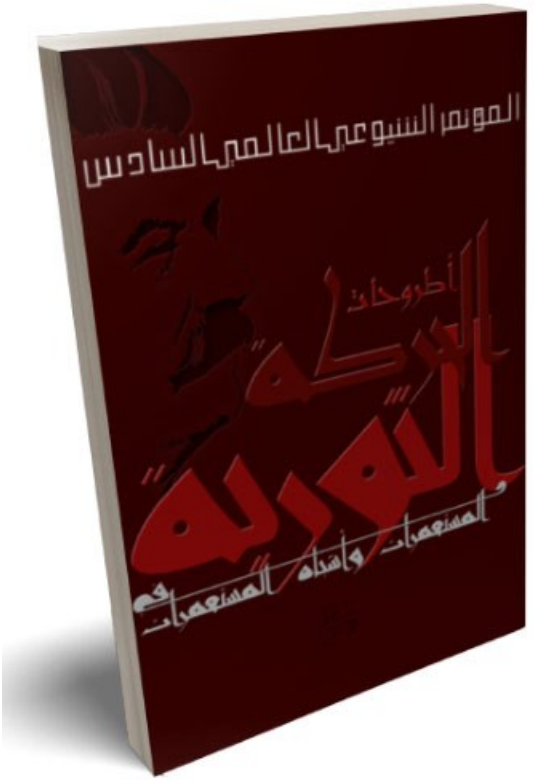

فقرة 6. يوم 26 تشـــرين الثاني/نوفمبر أطلقت لجنة الحزب الشـــيوعي في كفنتونغ نداء إلى الكادحين تضمن ما يلي كشعارات أساسية للانتفاضة: الخبز للعمال! الأرض للفلاحين! تسقط سلطة الكيومنتانغ! كل السلطة للعمال والفلاحين والجنود! كل السلطة للسوفييتات! إن الحزب، وقد كان على رأس الانتفاضة، كان في صلة مباشرة بالنقابات الثورية السرية خلال عمله التحضيري السياسي والتنظيمي. ومن خلال النقابات وقبيل الانتفاضة وقع تنظيم فصائل عمالية قتالية هي الحرس الأحمر العمالي والذي تألف من مضربين من هونكونغ ومن بحارة ومن دافعي العربات الصغيرة. ولقد لعب الحرس الأحمر العمالي دورا رائعا مدة الأحداث من 11 إلى 13 كانون الأول/ديسمبر. وإنه من خلال النقابات أن كان قد تألف سوفييت كانتون ليلة الانتفاضة وكان متكونا من 16 عضوا: 10عمال و3 فلاحين و3 جنود.

فقرة 7. المقدمات العامة للانتفاضة: ضعف الطبقات المهيمنة وغضب الجماهير الشعبية كانا ملحوظين للغاية في نهاية شهر تشرين الثاني/نوفمبر. وكانت الدفعة المباشرة للحركة هي التهديد بنزع سلاح الأفواج الثورية التي تؤلف القوة العسكرية الرئيسية عند بروليتاريا كانتون. وكانت انتفاضة كانتون قد بدأت ليلة 10-11 كانون الأول/ديسمبر. وبفضل ما للمنتفضين من شجاعة استثنائية كانت أهم نقاط المدينة قد سيطروا عليها في بضع ساعات: إدارة الشرطة والثكنات ومركز البريد والبرق والهاتف. وتمت مساعدة الفصائل المقاتلة مساعدة كبيرة من جانب عمال النقل الذين وضعوا على ذمة هيئة الأركان الثورية مائة عربة لنقل الجيوش الثورية سريعا. كما شارك فلاحو الضواحي أيضا في النضال واستولوا على محطات القطارات. وعند منتصف النهار أصبحت المدينة بكاملها بيد البروليتاريا المنتفضة باستثناء أرصفة الموانئ. وانتقلت السلطة إلى سوفيات نواب العمال والفلاحين والجنود وجهازه الحكومي: مجلس مفوضي الشعب.

فقرة 8. منذ 11 كانون الأول/ديسمبر أول أيام الانتفاضة إلي 13 كانون الأول/ديسمبر يوم هزيمة الكومونة خاض العمال والجنود المنتفضون معارك عنيفة ضد قوات الثورة المضادة المهاجمة. وفي اليوم الثاني من الانتفاضة توجهت كتيبة جديدة من جيوش الكيومنتانغ للهجوم على المدينة الثورية التي كان الأسطول الصيني يمطرها قنابل. وكان الجيش الرجعي قد نجح في تسلل إلى المدينة وشرع يشن هجوما على هيئة الأركان الثورية، حينها، وبجهد يائس، تمكن الحرس العمالي بعون بطولي من العمال العزل وحتى من النساء من دفع العدو إلى خارج المدينة. لكن من الغد، ثالث أيام الانتفاضة، أجهز بالكامل على الكومونة التي لم تقدر على صد تقدم عدو أكبر منها قوة عديد المرات. فقد أطبقت ثلاثة أفواج من البحرية وإنزال إمبريالي على المدينة الحمراء حصارا حديديا يوم 13 كانون الأول/ ديسمبر.

ولم يتمكن الحرس العمالي والجنود الثوريون من فوج التلاميذ من اختراق جبهة العدو والانسحاب نحو الريف إلا بجرأة شجاعة. وخلال بضعة أيام سقط أربعة آلاف عامل، من ضمنهم الكثير من النساء والأطفال، ضحايا للرجعية المسعورة والإرهاب الأبيض.

فقرة 9. لقد كان الكيومنتانغ قد كشف بالكامل عن طبيعته المضادة للثورة قبل الانتفاضة. وحتى عندما كان الكيومنتانغ يسير ضد عسكريي الشمال، لم تتجرأ حكومته على اتخاذ إجراءات حيوية ضد احتكار المالكين الإقطاعيين للأرض وضد أكثر أشكال استغلال العمال اذلالا في المدن. لكن، كانت حكومة الكومينتانغ، في كثير من الحالات، مضطرة إلى إعلان مشاريع إصلاح زراعي والوعد بتحسين ظروف عمل العمال، تحت ضغط جماهير العمال والفلاحين وخوفا من الثورة الزراعية المتعاظمة. لكنها كانت تستغل أضعف الأسباب حتى تؤجل تطبيق تلك الإصلاحات. فحتى تنازلا متواضعا مثل قرار تخفيض نسبة معلوم كراء الأرض ب 25%، الذي كان قد صادق عليه العديد من مؤتمرات الكيومنتانغ وثبتته العديد من قرارات أجهزته القيادية، لم يتحقق أبدا. فقد كان كامل مجرى الثورة الصينية وقتئذ إنما يبين كيف أن فقط حكومة تمثل مصالح العمال والفلاحين مباشرة هي القادرة على حل القضايا التي طرحتها الثورة الصينية وفي مقدمتها الثورة الزراعية.

فقرة 10. لم تعش السلطة السوفييتية في كانتون إلا بضع ساعات. لكن، ورغم كل شيء، فقد استطاعت هذه السلطة الثورية الجديدة أن تبين أنها كانت السلطة الحقيقية للطبقات المضطهدة في البلاد. لقد كانت أولى مراسيم الحكومة السوفييتية: قانون يوم عمل من ثماني ساعات؛ وقانون الترفيع في الأجور؛ وقانون تأميم الأرض؛ وإلغاء جميع عقود الاستعباد وجميع عقود كراء الأرض. ومنذ الساعات الأولى من وجودها، أطلقت السلطة السوفييتية بيانا إلى كل عمال الصين وفلاحيها وجنودها وإلى البروليتاريا العالمية. وكانت أولى تدابير حكومة العمال والفلاحين: تنظيم الجيش الأحمر؛ استرجاع كل مكاسب مضربي هونكنغ؛ والأمر بحجز منازل البرجوازية الكبيرة لفائدة الكادحين؛ كما أصدرت الحكومة مرسوما في كل من إجبارية توزيع الأرض على جنود الجيش الثوري وضمان الدولة للعاطلين ومراقبة الإنتاج وإلغاء كل ما على المدينة من ديون قديمة، الخ. وفور الاستيلاء على أهم المواقع، أطلق سراح قرابة 4,300 سجين سياسي من السجن. وقامت اللجنة غير الاعتيادية لمحاربة الثورة المضادة، التي تألفت في أول أيام الانتفاضة، وبمساعدة من العمال وفي مقدمتهم النساء، باعتقال العديد من مضادي الثورة المعلومين. ووقع إعدام قرابة 700 فرد من أعداء الشعب. وكانت «الراية الحمراء»، جريدة السوفييت، والتي كانت تنشر مراسيم الحكومة، منتشرة جدا بين السكان. وتركيبة الحكومة

نفسها، والتي ضمت زعماء الحركة العمالية والفلاحية معلومين لدى الجماهير، إنما تشهد على طابع السلطة الجديدة.

فقرة 11. رغم ما أبدته كومونة كانتون من سياسة ثورية ومن دفاع شجاع فقد سقطت بعد مقاومة بطولية طيلة ثلاثة أيام. لقد كانت أهم أسباب الهزيمة: انعزال كانتون السوفييتية عن مناطق الانتفاضة؛ خيانة زعماء أكبر نقابة صفراء في كانتون (نقابة الميكانيكيين) الذين وقفوا إلى جانب الرجعية جهرا؛ علوية تعداد القوات المسلحة الرجعية التي استطاعت تعبئة جيش كبير بسرعة؛ عون الإمبرياليين غير المتستر؛ ضعف المنتفضين من ناحية التقنية العسكرية وبعض الأخطاء الخطيرة في تحضير الانتفاضة ومثل ذلك نقص في تحضير التأثير في أوسع جماهير العمال والفلاحين في الضواحي وفي جنود جيوش الكيومنتانغ؛ تكتيك خاطئ تجاه النقابات الصفراء بسببه لم ننجح في دفع الجماهير، التي أظهرت في عدة حالات تعاطفا مع الحكومة العمالية والفلاحية الجديدة، ضد زعمائها المضادين للثورة؛ ضعف التعبئة السياسية لسكان كانتون الكادحين؛ وغياب إضرابات سياسية كبرى؛ وغياب سوفييت منتخب كجهاز انتفاضة. كما بينت النقائص والأخطاء في قيادة الانتفاضة أن المنظمة الشيوعية في كفنتونغ كانت ضعيفة جدا تشكو نقصا في الاستعداد لحركة انتفاضة. لكن كل ذلك لا ينفي ما لكومونة كانتون من أهمية.

فقرة 12. تستقبل البروليتاريا الصينية الذكرى الأولى لانتفاضة كانتون في ظروف نمو بطيء في قوى الثورة والتي بعد جملة من الهزائم ستتجه حتما نحو نهوض جديد. لقد انتهت الموجة الأولى من ثورة العمال والفلاحين بإضعاف منظمات العمال والفلاحين الثورية وبتصفية قسم كبير من طليعة هاتين الطبقتين. لكن واقع أن التناقضات الكبرى التي ولدت الثورة الصينية لم تحل إنما هو العامل الذي يسرع قدوم نهوض الثورة من جديد. فاستحالة حل القضية الزراعية بالطرق الإصلاحية وصعوبة إيجاد مخرج من الأزمة الزراعية والنزاعات صلب الطبقات المهيمنة وحتمية تفاقم النزاعات الإمبريالية وتقوية استغلال الجماهير الغفيرة وتدهور ظروف عيشها، إنما كلها الظروف العامة التي تولد حتما نهوضا ثوريا جديدا. ونرصد في الآونة الأخيرة تململا جديدا في صفوف الحركة البروليتارية (العديد من الإضرابات الاقتصادية الكبرى في كامل البلاد). تتواصل الحركة الفلاحية العظيمة في عديد المحافظات. ولسوف يدفع سوء المحصول في عدة مناطق وغلاء العيش والمجاعة، التي تكتوي بها الجماهير وتضجرها، إلى معارك ثورية جديدة لا مرد لها.

فقرة 13. يجب على الحزب الشيوعي أن يكون مسلحا من الرأس إلى القدمين لحظة ذلك النهوض القادم. ومهمة الحزب الرئيسية كما حددها المؤتمر الشيوعي العالمي السادس هي «النضال في

سـبيل كسـب الجماهير»، أي النشـاط في صـفوف جماهير العمال والفلاحين، والنهوض بمنظماتهم، واسـتغلال كل غضـب ضـد المالكين العقاريين والبرجوازيين والجنرالات والإمبرياليين الأجانب قصـد تطوير النضال الثوري.

فقرة 14. يجب على الأحزاب الشـيوعية في جميع البلدان أن تحضـر نفسـها بجد، في الوقت الراهن، لنهوض الموجة الثورية المقبلة في الصين. ويجب أن يصبح «الدفاع عن الثورة الصينية» شعار دعاية وتحريض دائما عند الحزب الشـيوعي. ويجب أن نشـرح للعمال في الاتحاد السوفيتي وفي الغرب أهمية الثورة الصـينية في الإطاحة بالإمبريالية وفي تحررهم هم أنفسـهم. ومما له أهمية أن نكشـف ما يقع في الصـين من جرائم دموية يقترفها الإمبرياليون الإنجليز واليابانيون والفرنسـيون وغيرهم. كما من المهم أن نكشـف الاشـتراكيين-الديمقراطيين بصفتهم مشاركين نشطين في تلك الجرائم. وتقدم البرجوازية العالمية ووكلاؤها الاشـتراكيون-الديمقراطيون من كل ضـرب، انتفاضـة كانتون على أنها "انقلاب" نظمه أعوان بلاشفة. لذا، فإن أحسن رد يمكن لعمال العالم أن يقدموه على هذه الأكذوبة الشائنة التي يروجها الاشـتراكيون-الديمقراطيون إنما يتمثل في جعل يوم ذكرى انتفاضة كانتون يوم تضامن عالمي للبروليتاريا، يوم اتحاد أخوي بين بروليتاريا الغرب والعمال والفلاحين المضـطهدين في الشـرق. ويجب على منظماتنا الشـيوعية أن تتحقق، خلال إحياء ذكرى انتفاضـة كانتون، مما تقدمه من عون للثورة الصـينية. وبفضـل عون وسـند البروليتاريا العالمية سـتحقق الثورة الصـينية انتصـار الجماهير الكادحة من الشعب الصيني على المضطهدين في الداخل والخارج انتصار حاسما.